صبري، مسعود.
نـــوح عليه السلام
إعداد/ مسعود صبري، ـــ الجيزة
شركة ينابيع، 2010
ص؛سم ـــ (سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين)
تدمك: 3 050 498 977 978
١- قصص الأنبياء.
٢- قصص القرآن
أ- العنوان: ١١ش الطوبجي-الدقي-الجيزة
رقم الإيداع: 2010/22584

نـوح عليه السلام

إعداد/ د. مسعود صبري
رسوم / أشرف رجب
جرافيك / منى محمد أمين
عبير صبحي البحيري
مراجعة لغوية/ إيمان الديب

مَاتَ آدَمُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَاشْتُهِرَ خَمْسَةُ رِجَالٍ بِالصَّلَاحِ هُمْ: وَدٌّ وسُوَاعٌ وَيغُوثُ وَيَعُوقُ ونَسْرٌ. وَأَحَبَّهُمُ النَّاسُ حُبًّا شَدِيدًا. وَبَعْدَ مَوْتِهِمْ حَزِنَ عَلَيْهِمُ النَّاسُ حُزْنًا شَدِيدًا. وَصَنَعُوا لَهُمْ تَمَاثِيلَ لِكَيْ يَذْكُرُوهُمْ دَائِمًا. ثُمَّ مَاتَ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَنَعُوا التَّمَاثِيلَ. وَجَاءَ بَعْدَهُمْ أَبْنَاؤُهُمْ. ثُمَّ مَاتُوا. ثُمَّ جَاءَ بَعْدَهُمْ أَبْنَاءُ أَبْنَائِهِمْ. وَلَمْ يَعْرِفُوا لِمَاذَا صُنِعَتْ هَذِهِ التَّمَاثِيلُ.وَاسْتَغَلَّ الشَّيْطَانُ هَذِهِ الْفُرْصَةَ. وَأَغْوَاهُمْ. وَأَقْنَعَهُمْ بِأَنَّ هَذِهِ آلِهَةٌ. وَبَدَأُوا يَعْبُدُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَمِنْ هُنَا ظَهَرَ الشِّرْكُ وَالْكُفْرُ.

كَانَ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- عَظِيمًا فِى قَوْمِه، وَاخْتَارَهُ اللَّـهُ وَاصْطَفَاهُ عَلَى بَقِيَّةِ الْخَلْقِ؛ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّـه، وَتَرْكِ الأَصْنَامِ، الَّتِي لا تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ، وَاخْتَارَهُ اللَّـهُ لاَ لأَنَّهُ أَغْنَى قَوْمِه، أَوِ السَّيِّدُ عَلَى الْقَوْمِ، أو الْحَاكِمُ، وَإِنَّمَا لِطَهَارَةِ قَلْبِه، وَصَفَائِه، وَنَقَاءِ عَقِيدَتِه.وَاخْتَارَهُ اللَّـهُ أَيْضًا لِسَبَبٍ آخَرَ وَهُوَ: أَنَّهُ كَانَ دَائِمَ الشُّكْرِ. فَإِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ حَمِدَ اللَّـهَ وَشَكَرَهُ، وَإِذَا لَبِسَ ثَوْبَهُ شَكَرَ اللَّـهَ، وَإِذَا خَرَجَ أَوْ دَخَلَ فِي بَيْتِه شَكَرَ اللَّـهَ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ اللَّـهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَنْهُ: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ فَاخْتَارَهُ اللَّـهُ، لِيَكُونَ رَسُولاً وَنَبِيًّا عَلَى قَوْمِه، يَدْعُوهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّـهِ وَأَلاَّ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.

ظَلَّ نُوحٌ يَدْعُو قَوْمَهُ، وَيَبْذُلُ مَا فِي وُسْعِهِ، وَيَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَتَرْكِ الأَصْنَامِ، وَأَخَذَ يَدْعُوهُمْ زَمَنًا طَوِيلاً، مَرَّةً بِالنُّصْحِ، وَمَرَّةً بِالتَّدَبُّرِ، وَالنَّظَرِ فِي خَلْقِ اللَّهِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ، وَكَانَ يَدْعُوهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً، وَيُبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ خَدَعَهُمْ، وَحَانَ الْوَقْتُ لِيَتَوَقَّفُوا عَنْ هَذِهِ الْخُدْعَةِ، وَلَمْ يَطْلُبْ مِنْ دَعْوَتِهِ أَجْرًا مِنْهُمْ، إِنَّمَا الأَجْرُ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ أَنَّهُمْ ازْدَادُوا كُفْرًا وَعِنَادًا.

اسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ سَيِّدِنَا نُوحٍ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالضُّعَفَاءِ، أَمَّا الأَغْنِيَاءُ الأَقْوِيَاءُ وَالْحُكَّامُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ، وَلَمْ تُؤْمِنْ بِهِ زَوْجَتُهُ وَأَحَدُ أَبْنَائِهِ، وَقَالُوا: كَيْفَ يَكُونُ الرَّسُولُ بَشَرًا مَثَلَهُمْ ؟!. وَبَيَّنَ لَهُمْ سَيِّدُنَا نُوحٌ أَنَّهُ بَشَرٌ. وَلَوْ كَانَ عَلَى الأَرْضِ مَلائِكَةٌ لَكَانَ الرَّسُولُ مِنَ الْمَلائِكَةِ، وَلَكِنَّهُمْ بَشَرٌ فَيَكُونُ الرَّسُولُ بَشَرًا مِثْلَهُمْ.

أَخَذَ الْكُفَّارُ يُهَاجِمُونَ سَيِّدَنَا نُوحًا، وَيَقُولُونَ لَهُ لَقَدْ آمَنَ بِكَ الْفُقَرَاءُ وَالضُّعَفَاءُ.

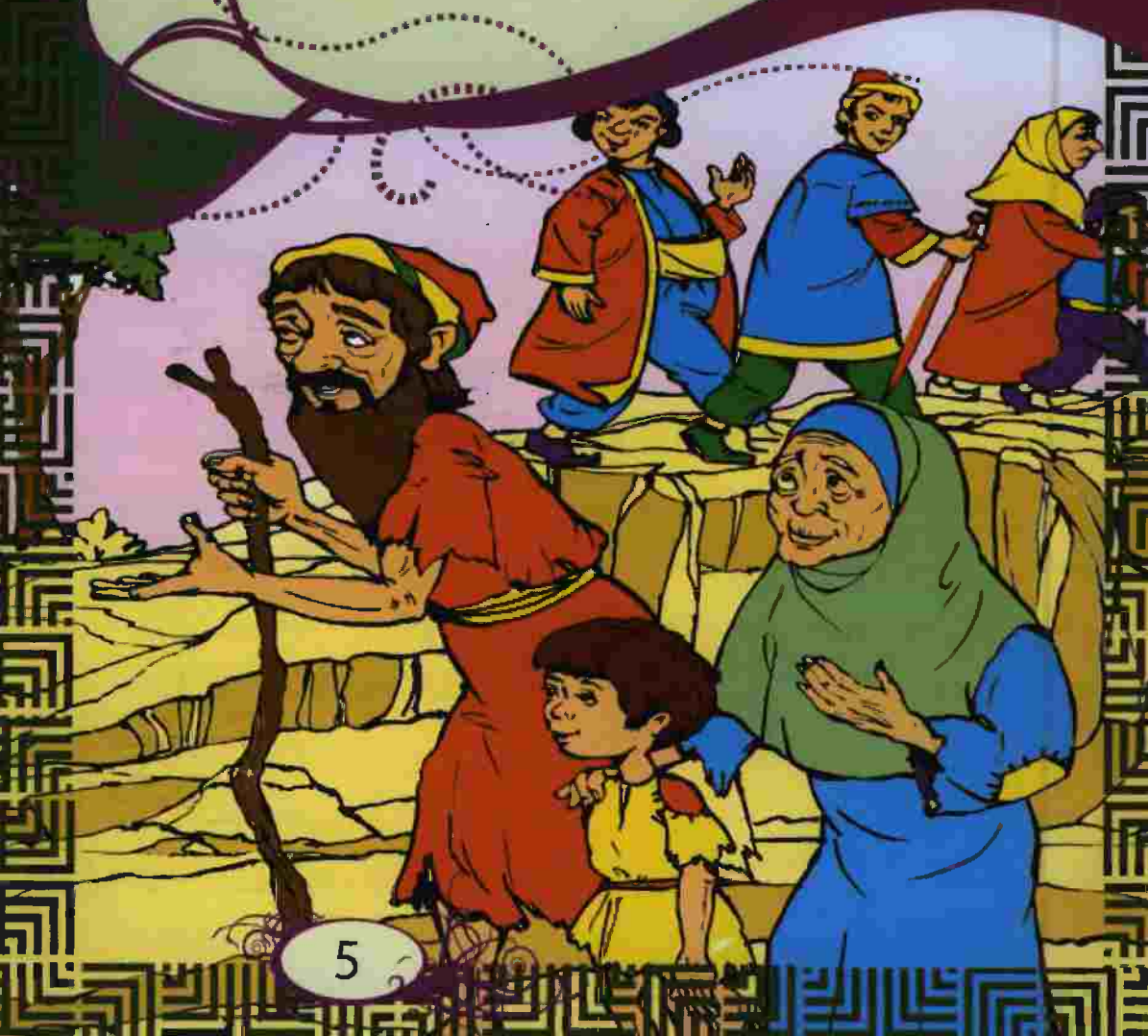

فَرَدَّ عَلَيْهِمْ سَيِّدُنَا نُوحٌ بِأَنَّ هَؤُلاَءِ الْفُقَرَاءَ وَالضُّعَفَاءَ قَدْ آمَنُوا بِاللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ، وَلَجَأَ الْكُفَّارُ إِلَى الْمُسَاوَمَةِ، وَقَالُوا لِنُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ نُؤْمِنَ فَاطْرُدْ هَؤُلاَءِ الْفُقَرَاءَ وَالضُّعَفَاءَ؛ لأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ تَضُمَّنَا ـ نَحْنُ الأَغْنِيَاءَ ـ وَالأَقْوِيَاءَ وَالْحُكَّامَ دَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- بِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَطْرُدَ مَنْ يَشَاءُ. وَبَعْدَ هَذِهِ الْمُحَاوَلَةِ لَجَأُوا إِلَى سُوءِ الأَدَبِ مَعَ النَّبِيِّ نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- وَشَتَمُوهُ: ﴿قَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِأَدَبٍ عَظِيمٍ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

كَانَ الْكَافِرُونَ فِي قِمَّةِ الْعِنَادِ وَالْكُفْرِ وَكَانُوا لاَ يَطِيقُونَ سَمَاعَ سَيِّدِنَا نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ-، حَتَّى أَنَّ بَعْضَهُمْ حِينَمَا كَانُوا يَرَوْنَ نُوحًا -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- يُعْرِضُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ، وَيَضَعُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ: حَتَّى لا يَسْمَعُوا كَلاَمَ سَيِّدِنَا نُوحٍ. وَكَانُوا يَضَعُونَ ثِيَابَهُمْ عَلَى وُجُوهِهِمْ حَتَّى لا يَرَوْهُ. وَاسْتَمَرَّ هَذَا الأَمْرُ فَتْرَةً طَوِيلَةً حَتى طَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ. يَا إِلَهِي، يَطْلُبُونَ الْعَذَابَ بِأَنْفُسِهِمْ! فَقَدْ صَمُّوا وَعَمُوا عَنِ الْحَقِّ. لَكِنَّ سَيِّدَنَا نُوحًا حَزِنَ عِنْدَ سَمَاعِهِ قَوْلَ الْكُفَّارِ، وَلَمْ يَيْأَسْ، وَكَانَ عِنْدَهُ أَمَلٌ فِي أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ.

أخَذَ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَدْعُو قَوْمَهُ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا، وَأَصْبَحَ عَدَدُ الْمُؤمِنِينَ قَلِيلاً، وَعَدَدُ الْكَافِرِينَ كَثِيرًا، وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى سَيِّدِنَا نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنَّهُ لَنْ يُؤمِنَ قَوْمُكَ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ، وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ دَعَا نُوحٌ عَلَى كُفَّارِ قَوْمِهِ ﴿رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِرًا كَفَّارًا﴾

فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ وَأَمَرَهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يَصْنَعَ سَفِينَةً .

وَبَعْدَ أنْ أمَرَ اللَّهُ سَيِّدَنَا نُوحًا بِأنْ يَصْنَعَ سَفِينَةً، بَدَأَ فِي صُنْعِهَا، وَمَعَهُ الْمُؤمِنُونَ. وَأخَذُوا الأَلْوَاحَ، وَبَدَأُوا يَصْنَعُونَ هَذِهِ السَّفِينَةَ، وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ الْكَافِرُونَ يَسْخَرُونَ مِنْ نُوحٍ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤمِنِينَ بِصِنَاعَتِهِ لِهَذِهِ السَّفِينَةِ؛ إذ كَيْفَ تَسْبَحُ فِي الصَّحْرَاءِ الَّتِي لا مَاءَ فِيهَا. وَكَانُوا يَسْخَرُونَ أكْثَرَ عِنْدَمَا عَلِمُوا أنَّ السَّفِينَةَ سَوْفَ يَنْجُو بِهَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ، وَكَانَ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلامُ- يَسْخَرُ مِنْهُمْ لِغَفْلَتِهِمْ عَنِ الْحَقِّ. وَكَانَتِ السَّفِينَةُ كَبِيرَةَ الْحَجْمِ، وَكَانَتْ عِبَارَةً عَنْ ثَلاثِ طَبَقَاتٍ: الطَّبَقَةُ الْعُلْيَا لِلطُّيُورِ، وَالْوُسْطَى لِلنَّاسِ، وَالسُّفْلَى لِلْوُحُوشِ.

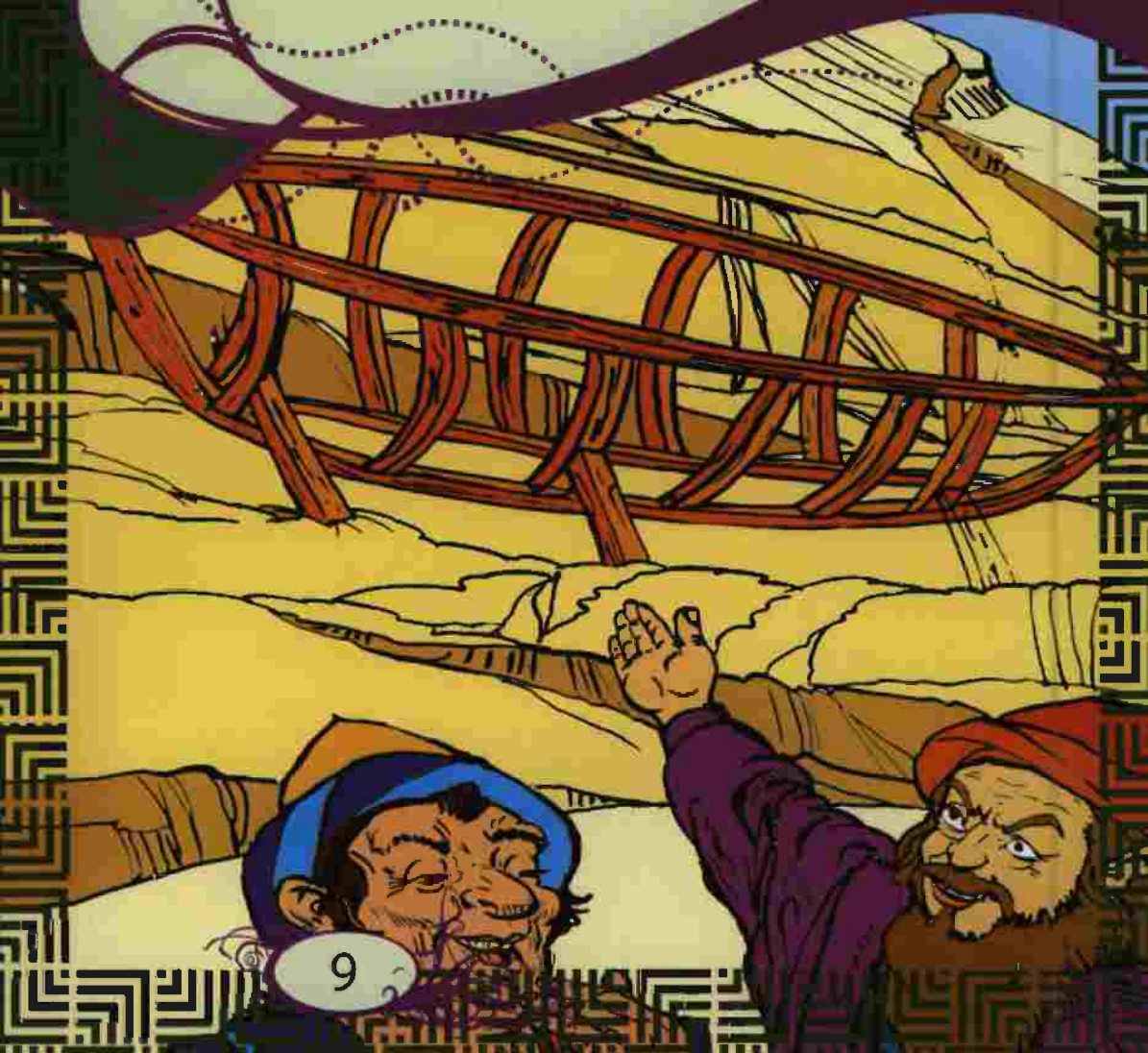

وَبَعْدَمَا صُنِعَتِ السَّفِينَةُ، وَاقْتَرَبَ الطُّوفَانُ، كَانَتْ عَلَامَةُ اقْتِرَابِهِ أَنْ يَخْرُجَ الْمَاءُ مِنَ الْفُرْنِ الْكَائِنِ فِي بَيْتِ سَيِّدِنَا نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى السَّفِينَةِ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ مِنَ الطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ وَالْحَيَوَانَاتِ: فَمِنَ الْحَمَامِ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، وَعُصْفُورٌ وَأُنْثَاهُ، وَفِيلٌ وَأُنْثَاهُ. وَكُلٌّ دَخَلَ فِي مَكَانِهِ الْمُعَدِّ لَهُ. وَدَخَلَ الْمُؤْمِنُونَ السَّفِينَةَ وَكَانَ عَدَدُهُمْ قَلِيلاً.

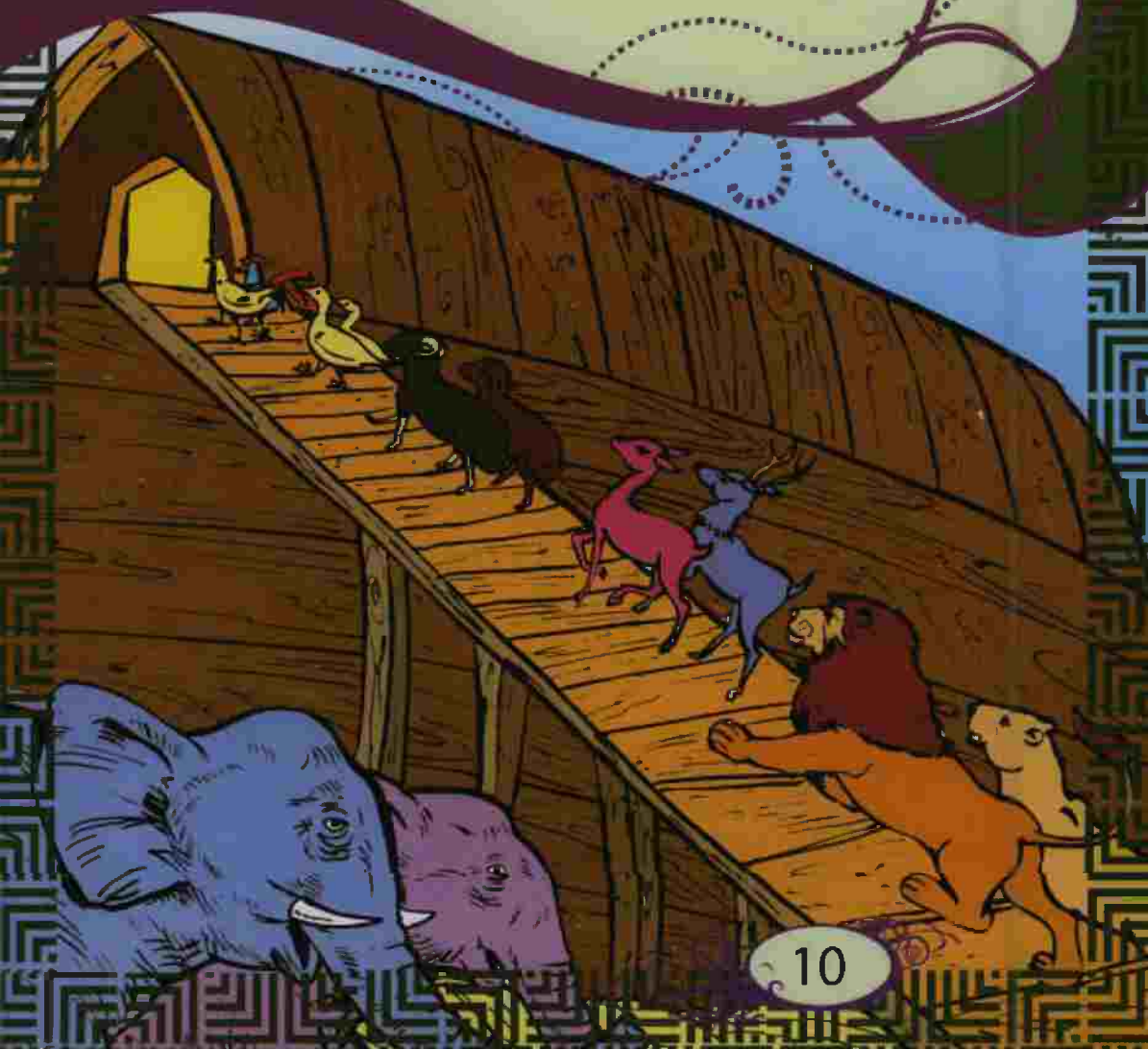

وَبَدَأَ الطُّوفَانُ، وَأَمَرَ اللَّهُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ، وَالأَرْضَ أَنْ تَنْفَجِرَ بِالْمَاءِ، وَأَخَذَ الطُّوفَانُ يَعْلُو وَيَعْلُو، وَالْكُفَّارُ يَهْرُبُونَ هُنَا وَهُنَاكَ، وَفِي أَعَالِي الْجِبَالِ، لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَكَانًا يَحْمِيهِمْ، وَلَكِنْ هَيْهَاتْ.

وَأخَذَ نُوحٌ يَدْعُو ابْنَهُ، لِيَرْكَبَ مَعَهُ السَّفِينَةَ بَعْدَ أنْ دَعَاهُ إلَى الإيمَانِ بِاللَّهِ ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الكَافِرِينَ﴾، لَكِنْ رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُهُ بِأنَّهُ سَيَذْهَبُ إلَى أعْلَى الْجَبَلِ ﴿سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ ظَنًّا مِنْهُ أنَّ الْمَاءَ لاَ يَصِلُ إلَى أعْلَى رُؤوسِ الْجِبَالِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ نُوحٌ ﴿لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أمْرِ اللَّهِ إلاَّ مَن رَّحِمَ﴾ وَتَسَابَقَ الْجَمِيعُ إلَى رُؤوسِ الْجِبَالِ، وَلَكِنْ أهْلَكَهُمْ اللَّهُ جَمِيعًا.

كَانَ أَمْرُ هَذِهِ السَّفِينَةِ يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ اللَّهِ، وَقُدْرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَأَخَذَ الْمُؤْمِنُونَ فِي السَّفِينَةِ يَذْكُرُونَ اللَّهَ، وَيَدْعُونَهُ، وَيُصَلُّونَ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى. فَقَدْ نَجَّاهُمْ مِنَ الْهَلَاكِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِنِعْمَةِ النَّجَاةِ مِنَ الْغَرَقِ فِي الطُّوفَانِ. فَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ!

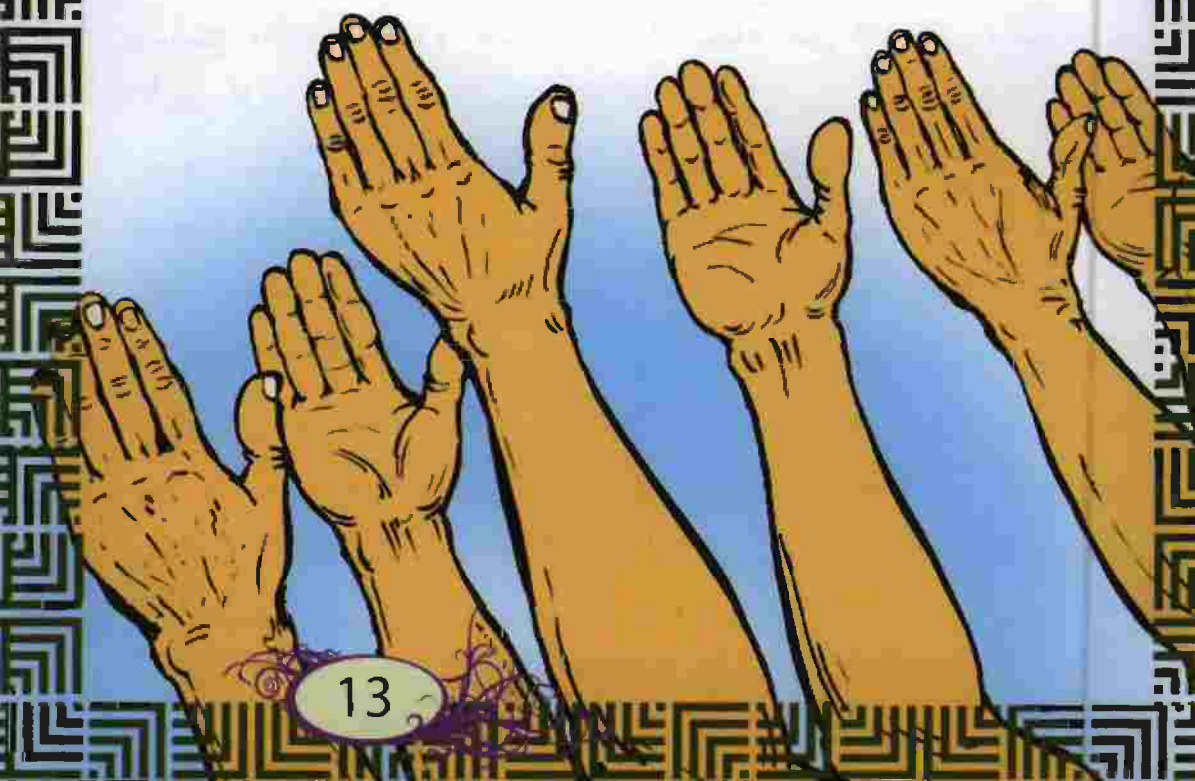

أَمَرَ اللَّـهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِأَنْ تَكُفَّ السَّمَاءُ عَنِ الْمَطَرِ وَتَبْتَلِعَ الأَرْضُ الْمَاءَ؛ فَتَوَقَّفَتِ السَّمَاءُ عَنِ الْمَطَرِ. وَابْتَلَعَتِ الأَرْضُ الْمَاءَ، وَرَسَتِ السَّفِينَةُ عَلَى جَبَلٍ، يُسَمَّى الْجُودِيَّ، وَهُوَ اسْمُ مَكَانٍ قَدِيمٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ وَأَرْسَلَ سَيِّدُنَا نُوحٌ حَمَامَةً لِتَسْتَطْلِعَ الأَمْرَ فَجَاءَتْ، وَفِي فَمِهَا غُصْنُ زَيْتُونٍ، مِمَّا يُنْبِئُ أَنَّ الطُّوفَانَ قَدْ تَوَقَّفَ. ثُمَّ أَمَرَ اللَّـهُ نُوحًا أَنْ يَهْبِطَ مِنَ السَّفِينَةِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ، وَهَبَطَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ السَّفِينَةِ بَعْدَ أَنْ نَجَّاهُمُ اللَّـهُ بِهَا، وَخَرَجَتْ مِنَ السَّفِينَةِ الطُّيُورُ وَالْحَيَوَانَاتُ وَالْوُحُوشُ، وَكُلٌّ فِي سَعَادَةٍ عَالِيَةٍ وَإِيمَانٍ بِاللَّـهِ.

وَتَحَرَّكَتْ فِي قَلْبِ نُوحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَشَاعِرُ الأُبُوَّةِ، وَأَخَذَ يُنَاشِدُ رَبَّهُ فِي أَمْرِ وَلَدِهِ، قَالَ: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ فَقَدْ أَرَادَ نُوحٌ أَنْ يَقُولَ لِرَبِّهِ أَنَّ ابْنَهُ مِنْ أَهْلِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُ بِنَجَاةِ أَهْلِهِ، فَقَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - لَهُ إِنَّ ابْنَهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ؛ لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ. وَعَاتَبَ اللَّهُ نُوحًا؛ لأَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ ذَلِكَ. فَأَخَذَ نُوحٌ يَدْعُو رَبَّهُ، وَيَسْتَغْفِرُهُ، فَتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

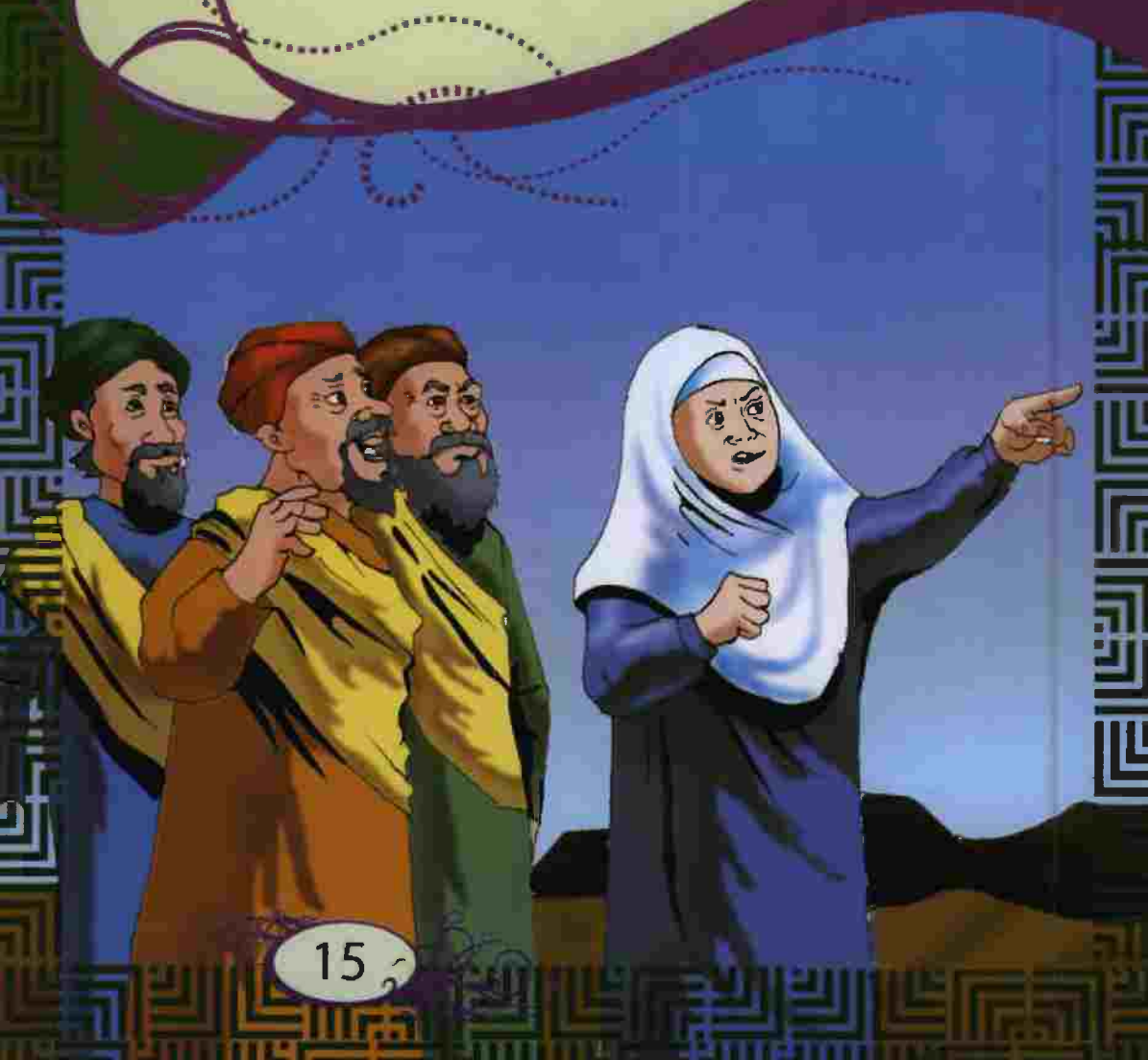

وَبَعْدَ مَا خَرَجَ نُوحٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- هُوَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْ السَّفِينَةِ، أَخَذَ يَبْنِي مَكَانًا لِيَتَعَبَّدُوا فِيهِ، وَأَخَذُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْوُونَ اللَّحْمَ؛ لأَنَّ النَّارَ كَانَتْ لاَ تُوقَدُ فِي السَّفِينَةِ لأَنَّهَا مِنَ الْخَشَبِ، وَلَوْ أَوْقَدُوا نَارًا فِيهَا لاحْتَرَقَتْ، وَكَانَ أَوَّلَ طَعَامٍ يَأْكُلُوهُ مَطْبُوخًا بَعْدَ رُكُوبِهِمْ فِي السَّفِينَةِ، وَعِنْدَمَا قَرُبَ أَجَلُ نُوحٍ أَخَذَ يَجْمَعُ أَبْنَاءَهُ، وَوَصَّاهُمْ بِأَلاَّ يَعْبُدُوا غَيْرَ اللَّهِ، وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ أَحَدًا.